MUDALLA : PROCEEDING INTERNATIONAL CONFERENCE ON ARABIC LANGUAGE
ISSN : 2807-8780
(MUDALLA)
المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها وتعليمها
قسم الأدب العربي جامعة مالانج الحكومية

أثر الذوق في توجيه الحكم النقدي- ابن رشيق القيرو اني أنموذجاً

عبد الهادي عبد الرحمن علي الشاوي
جمهورية العراق جامعة الكوفة

المقدمة

يهتم البحث بدراسة أثر الذوق في توجيه الحكم النقدي متخذا ابن رشيق القيرواني أنموذجا – معتمدا على ما أورده من أراء نقدية في كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) وقد دفعت أسباب عدة للخوض في دراسة هذا الموضوع ,منها أن اغلب الآراء النقدية القديمة كانت أراء فطرية ,فالناقد العربي القديم كان يقدم رأيا نقدياً فطريا غير معلل ولا يخضع لأسس فنية ,وهذا رأي سائد عن النقد العربي ,في كثير من الدراسات النقدية الحديثة ,فقد تناسى النقاد المحدثون أن النقد العربي وعلى طول مراحل النقد ابتداء من الشعراء النقاد في العصر الجاهلي مثل النابغة الذبياني وأم جندب وغيرهم, كانوا يصدرون أحكامهم في مناخ أدبي مغاير لما نحن فيه , فالحاجة إلى التعليل وتقديم الأسس ليست خافية عليهم كحالنا ألان , فهي منتفية لعلم المتلقي بلغته ,وأساليب القول فيها؛ لأنهم قد جبلوا على لغة سليمة, ولم يدخل اللحن إلى أسماعهم ,فذائقتهم مرهفة مثقفة, ولذلك صار وجوبا أن ينظر البحث في هذه الظاهرة ,ويقدم أراء النقاد العرب ويبين اثر الذوق في أحكامهم, لذلك قسمنا البحث على مبحثين:

المبحث الأول : وقد درسنا فيه تعريف الذوق الأدبي في اللغة والاصطلاح والعوامل التي ساعدت على تكوينه ونشأته والتأثير فيه وتطوره , فوجدناها تقوم على ثلاثة عوامل هي : العامل الأول :الفطرة السليمة التي نشأ عليها العربي ,والثاني هو البيئة ونقصد بها البيئة الاجتماعية والثقافية, وما تقدمه من تأثير في تنمية الذوق وفي توجيهه الوجهة الصحيحة ,والعامل الثالث: الذي ركز عليه كثير من النقاد هو عامل الدربة والمران فأنها تصقل الموهبة.

أما المبحث الثاني :فقد تناولت فيه أثر الذوق في توجيه الحكم النقدي ,وقد قسمته إلى فقرات تناولت في أولاها الشعراء النقاد وفي الفقرة الثانية تحدثت فيه عن اثر ذوق اللغويين في إصدار الأحكام النقدية

,وفي الفقرة الثالثة ,كان الاهتمام منصبا على دراسة الذوق عند النقاد العرب ولقد اخترت منهم ابن سلام الجمحي (230هـ) وابن قتيبة(ت276هـ) وختمت هؤلاء النقاد بالتطرق إلى أراء وأحكام ابن طباطبا العلوي (ت322هـ) وأشرت إلى ما قدمه الشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) من أراء نقدية قيمة ,فيها كثير من الجدة والابتكار ,وتنم عن فهم دقيق بأساليب العربية ,وبما يحيط النفس العربية من ملابسات تركت اثرا بينا في توجيه كثير من الأحكام.

أما المبحث الثالث: فهو دراسة تطبيقية تؤكد هذه الآراء وقد اخترت لهذا كتاب (العمدة في محاسن الشعر ونقده – لابن رشيق القيرواني (ت456هـ) لنكشف عن ذوق هذا الناقد العربي الذي بدا واضحا في كثير من أحكامه النقدية التي ضمنها كتابه ,والتي جاءت منسجمة مع كثير من أراء وأحكام من سبقوه من نقاد العرب في عصوره الماضية. ولقد اعتمد البحث على مصادر قديمة وحديثة لها صلة بالبحث.

مفهوم الذوق

الذوق في اللغة:

وردت لفظة الذوق في كتب المعاجم وهي تحمل دلالات متنوعة ,فقد ذكر ابن فارس(395هـ) منها أن الذوق ((هو اختبار الشيء من جهة تطعّم ,ثم يشتق منه مجازا ,فيقال :ذقت المأكول أذوقه ذوقاً, وذقت ما عند فلان ,اختبرته, وفي كتاب الخليل :كل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه ,ويقال ذاق القوس ,إذا نظر مقدار إعطائها ,وكيف كوقتها))* فيما ذكر ابن منظور أن الذوق من ((ذاق يذوق ذوقا ومذاقة ومذاقا وذواقا,وذقت فلان وذقت ما عنده ,وما نزل بك من مكروه فقد ذقته ,قال عز وجل ((ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)) الدخان﴿٤٩﴾ , وقد أشار لسان العرب إلى المعنى المعجمي للفظة الذوق فقال((الذوق مصدر, ذاق الشيء يذوقه ذوقا ومذاقا ,وتقول ذقت فلان وذقت ما عنده أي خبرته, وأمر مستذاق أي مجرب معلوم ,والذوق يكون فيما يكره ويحمد ,قال تعالى((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) النحل ﴿١١٢﴾ أي ابتلاها بسوء ما خبرت من عقاب الجوع والخوف ...قال: الذوق يكون بالفم وبغير الفم...))†

أما في القران الكريم فان لفظة الذوق قد وردت مع مشتقاتها ومنها قوله تعالى((لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا)) النبأ ﴿٢٤﴾ وقوله تعالى((هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ)) ص ﴿٥٧﴾ وقد وردت في مواضع أخر وبدلالات مختلفة ,مثل قوله تعالى ((فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا)) الطلاق﴿٩﴾

---

* -ابن فارس , مقاييس اللغة :مادة :ذوق

† -ابن منظور , لسان العرب:112/10

وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة ومن خلال هذا التعريف نستدل غلى أن لفظة الذوق تأخذ دلالة حسية تتمثل في ملامسة الأشياء باللسان, ومن ثم انتقلت دلالة اللفظة إلى تحسس الأشياء عن طريق النفس لمعرفة خواصها الحسنة أو الرديئة,, وهي بذلك قد أصبحت أداة لإدراك الأشياء التي تثير في نفس المتذوق أثر من لذة أو إحساس مختلف ومتنوع .

الذوق مفهوما:

لقد تنبه ابن طباطبا العلوي (322ه) إلى أهمية الذوق مفهوما نقديا ,يتطلب من النقاد الاهتمام به ,لأنه رأى أن ((للأشعار الحسنة على اختلافها 'مواقع لطيفة عند الفهم لا تحد كيفيتها ,كموقع الطعوم المركبة الخفيفة التركيب اللذيذة المذاق ,...وكالملامس اللذيذة الشهية الحس , فهي تلائمه إذا وردت عليه –أعني الأشعار الحسنة للفهم – فيلتذها ويقبلها))[‡] وإلى هذا المفهوم أشار الزمخشري (538ه) بقوله ((ومن المجاز ...وهو حسن الذوق للشعر, إذا كان مطبوعاً))[§] وهذه الإشارة تدل على أن الذوق عند النقاد قد بدأ يأخذ طريقه في التحديد والتعريف ,لأنه سيعمل على توجيه الحكم النقدي ,فيما أشار ابن خلدون (ت 808ه)في مقدمته إلى أن لفظة الذوق ((يتداولها المعتنون بفن البيان ومعناه حصول ملكة البلاغة للسان ,واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر أسم "الذوق" الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وإنما هو مصنوع لإدراك الطعوم ... و استعير لها اسمه ,وأيضا فهو وجدان اللسان ,كما أن الطعوم محسوسة له ,فيقال له "ذوق"))[**] وهذا يدل على أن لفظة ذوق قد تحولت من الدلالة الوضعية المعجمية لإدراك الطعوم والتمييز بين حلوها ومرها إلى الدلالة المجازية ,فصارت تعني القدرة على الإحساس بالأدب والفن والشعور بقيمته والتأثر 2به,سلبياً أو إيجابا تبعا لقدرة الفن في التأثير وقدرة الفنان على فعل هذا التأثير في نفسية المتلقي، فالذوق :هو ((قوة يقدر بها الأثر الفني ,أو هو الاستعداد الفطري والمكتسب الذي نقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا))[††] وان الذوق الذي هو حاسة فطرية ,ثم ظهرت عليها تأثيرات الواقع والفعل الإنساني المدروس بما حقق لها تميزا وتطورا وتهذيباً.

والذوق قسمان هما:

1-الذوق الخاص :

[‡] - العلوي , ابن طباطبا عيار الشعر:15

[§] - الكشاف –للزمخشري :514

[**] -مقدمة ابن خلدون –المطبعة البهية – القاهرة :516

[††] -أصول النقد الأدبي – أحمد الشايب :120

وهو تلك القدرة أو الملكة النقدية الناتجة عن الاستعداد الفطري ,ويكون فيه إصدار الحكم النقدي غير متأثرا بالمدارس والاتجاهات النقدية ,إنما هو استجابة لتأثير ينتج عنها رأي في النص الأدبي الذي تلقاه الناقد أو المتلقي صاحب الملكة الفطرية المتمثلة في القدرة على التمييز وإصدار الأحكام النقدية, وهذا الحكم لا يكون خارج تأثيرات البيئة المحيطة بالمبدع والناقد إطلاقا ,فلا بد من حدوث تأثير ما من البيئة على هذا الحكم الخاص, ويستغني الذوق الخاص بنفسه عن الاذواق السائدة مطلقا , انما قد ينفرد ببعض خصائص , وينماز بأخرى , ويشترك مع الذوق العام السائد في الزمان والمكان المحددين , وهذا التميز يبدو واضحا بعد الاعتناء به , ومحاولة افراده واستقلالية عن غيره من الاذواق السائدة التي ترتبط بوشائج تكوين معينة , فرضها الواقع الثقافي في أي عصر.

2-الذوق العام:

هو ((مجموعة تجارب الإنسان طول ممارسته وعمق تجربته ,وحصيلة تكوينه الفكري ,التي يفسر بها العمل الفني ويميزه ويحكم عليه من خلال حسه وإدراكه ,ويسمى حينئذ الإدراك الصحيح أو الحس السليم, وهو الذي يعطي الحياة الفنية حطا من الموضوعية ,والأذواق الخاصة هي التي تعطي الحياة الفنية خطا من الذاتية)) [‡‡] وهذه الأحكام العامة هي التي تمثل الذوق العام في مرحلة تاريخية وثقافية معينة ومحددة, وهي احكام غير قطعية أو ثابتة , فهو تنمو بين مجموعة من التيارات الثقافية وتتلون بالسائد الغالب منها , فينطبع لها ذلك الطابع وتتحدد لها سمات فارقة , نجد تأثيرها جليا في بناء نموذج الذوق العام للمرحلة التاريخية المعينة .ولا يتكون هذا النمط من الذوق الا بعد مخاض تشترك فيه جملة من العوامل الفاعلة .

العوامل الفاعلة في الذوق الأدبي :

لا يتم للذوق تحققه إلا بعد توافر عوامل تساعد في تكوينه ونضجه عند المتلقي والمبدع ,ومن هذه العوامل الفاعلة في النفس الإنسانية :

1-الفطرة:

إن من أولويات الإبداع الفني في حقل من حقول المعرفة الإنسانية يستند على الاستعداد الفطري , فقد وهب الله تعالى بعض الناس ملكات متميزة اختلفوا فيها عن سائر الناس , فمنهم من امتلك سليقة الحفظ , ومنهم من يستجيب للأنغام , ومنهم من لا تهزه الزلازل , فالناس مختلفون , فمن فطر على ذوق سليم صاف فهو قادر على تمييز ما جاد من لشعر ومكان رديئا , وهذه الملكة هي متممة ربانية يهبها من

[‡‡] - ينظر : المصدر نفسه :138

يشاء من عباده وهو شرط من شروط الناقد , وتساعد كثيرا في إصدار الأحكام وفي تذوق العمل الأدبي , ومن ثم التأثر به , ولا يحدث ذلك إلا بوجود الاستعداد الفطري ,فمن كان لديه ذلك اختلف عمن سواه وهذا الاختلاف((يزداد مع اكتساب المعارف والخيرات التي توجد خارج الذات ,حتى ليندر أن يتفق اثنان اتفاقا كاملا في تقدير أي عمل أدبي , لبيان ما فيه من عناصر جمالية , ومن هنا قيل ان هناك ذوقا صحيحا أو سليما , إنما قيل هناك ذوقا فاسدا أو سقيما))[§§]

وان امتلاك هذه الملكة والاستعداد الفطري يمكن أن ((يتميز من خلال ممارسة كلام العرب وتكراره على السمع والتفطن لخواص تركيبه ... فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتركيب العرب لفظهم ونظم كلامهم فإذا اعرض عليه الكلام صائدا عن أسلوب العرب نظمهم اعرض عنه ومجه .))[***]

التي يفسر بها العمل الفني ويميزه أو يحكم عليه , من خلال حسه وإدراكه ويسمى حينئذ الإدراك الصحيح أو الحس السليم .

وهذه الأحكام العامة التي تمثل الذوق العام في مرحلة تاريخية وثقافيه معينة , وان هذه الملكة لا تحصل ((إلا بالممارسة والاعتياد والتكرار للكلام العرب))[†††],فان ذلك مما يمنح الناقد القدرة على إصدار الأحكام النقدية الصائبة الموضوعية لان((الذوق العام هو الذي يعطي الحياة الفنية حظا من الموضوعية . وهذه الأذواق الخاصة هي التي تعطي الحياة الفنية حظا من الذاتية.))[‡‡‡]ويتشكل الذوق العام تبعا لمعطيات الواقع الثقافي لأية امة أو شعب.

2- البيئة :

وهي تمثل مجموعة الخواص للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية , التي تؤثر في شخصية الناقد , فان اختلاف النية له اثر واضح في إصدار الأحكام النقدية ,((ولما كان الذوق الأولي هو مزيج من العاطفة والعقل والحسن , كان عند البدو غيره عند أهل الحضر , ولما كان بين البيئتين من ظروف مادية ومعنوية تطبع عناصر الذوق بطابعها في كلتيهما هي ظروف بين الخشونة والرقة وبين الاضطراب والاستقرار , بين البساطة والتعقيد))[§§§], وهذا ما نجده بتمكن الأحكام العربية , ضمن عاش في البادية العربية وتشبع بأجوائها وثقافتها فان حكمه النقدي سيكون متأثرا بهذه الأجواء فهو يميل إلى تفصيل

---

§§ - زكي , أحمد كمال ,النقد الأدبي الحديث :41
*** -مقدمة ابن خلدون:563
††† -المصدر نفسه:528
‡‡‡ -أصول النقد الأدبي :138
§§§ -المصدر نفسه:139

الشعر الذي تكثر فيها صفات البداوة , من جزالة اللفظ ووضوح الصورة , وإبعادها عن الخيال والتصنع . وفي الشعر العربي شواهد كثيرة على تأثير البيئة في رقة أشعار الشاعر أو خشونتها ولعل أشهر حادثة معروفة في التاريخ الأدبي ما حدث الشاعر علي بن الجهم عندما ورد على المتوكل يمدحه بقوله :

أنتَ كالدلو لاعدمتك دلواً من كثير العطايا قليل الذنوبِ

أنتَ كالكلبِ في حفاظك للود وكالتيسِ في قراعِ الخطوبِ

فهم بعض الحاضرين بقتله ,لكن المتوكل منعهم وتركه يقيم في الحضر بعض سنين حتى لان طبعه ورق فقال :

عيونُ المها بينَ الرصافةِ والجسرِ جلبن الهوى مِنْ حيثُ أدري ولا أدري

أعدنَ لي الشوقَ القديمَ ولم أكنْ سلوتُ ولكنْ زدنَّ جمراً على جمرِ[****]

وهذا فيه دليل على اثر البيئة, فإذا كان الشاعر تأثر بالبيئة ورق طبعه , فان الناقد العربي في أي زمان ومكان لابد من أن يأخذ من البيئة التي يعيش فيها بعض سماتها .

فان كان البيئة رقيقة سهل رق طبعه , وان كانت صعبة شاقة صحراوية فان طبعا لابد من أن يتأثر بها أيضا , ويضل هذا التأثر نسبي , إذا لا يمكن أن يكون التأثر على مستوى واحد فما يؤثر في شخص فلا يمكن أن يؤثر في آخر وقد يكون تأثيره أعظم ومن هنا نشأت الفروق الفردية في البيئة الواحدة.

3-الدربة والمران:

إن المقدرة الفطرية على التذوق السليم للنصوص الأدبية ,لا تكفي ,إذ لا بد من وجود دربة تغذيها وتمدها بعوامل الاستمرار والطاولة والنجاح ,وقديما لا كان الشعراء العرب في العصر الجاهلي يدربون أبناءهم على قول الشعر ولا يجيزونهم إلا بعد أن تكتمل عدتهم ويستقيم ذوقهم ,لذلك يلجأ الشعراء إلى صحبة من سبقهم في الشعر ويكونون رواة لهم ,وان هذا الاهتمام الذي يبديه الشعراء في قضية الدربة مرده إلى الفهم السليم لقضية الشعر والفن بصورة عامة ,فالدربة تقوم المعوج وتصلح الفاسد وتقوي الضعيف ,وتسمو بالقوي ,ولما كان الذوق ((هبة طبيعية لكن رقيه وتهذيبه ,إنما يكون بالتربية الصحيحة))[††††]وهي ما عمل عليها الشعراء والرواة والنقاد العرب قديما ,فلقد سلك الشعراء والنقاد القدماء هذا المسلك ودربوا أنفسهم على حفظ الشعر وتذوقه ومن ثم معرفة حسنه من رديئة ,ولقد

**** -الجراوي ,ابو العباس أحمد بن عبد السلام ,الحماسة المغربية , تحقيق-محمد رضوان الداية-دار الفكر المعاصر – بيروت ط1-1991: 1002/2

†††† -أصول النقد الأدبي :138

أشار ابن خلدون إلى الدربة فقال((فإذا اتصلت مقاماته –أي المتكلم بلسان العرب-بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه ,وسهل عيه أمر التركيب حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب ,وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجه ونبا عن سمعه بأدنى فكر بل بغير فكر إلا بما استفادة من حصول هذه الملكة ,فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعية ,ومن عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب في تحصيل الملكة في شيء ,إنما حصل أحكامها كما عرفت ,وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتبار والتكرار لكلام العرب))[‡‡‡‡]الذي يعمق مقدرة الذوق الطبيعية عند الناقد ,ويجعل أحكامه النقدية سليمة ,وهذا ما نجده في النقد القديم الذي وصل إلينا ,لأنه نقد ذوقي مدرب وقائم على فطرة سليمة ومعرفة بأسرار اللغة وخفاياها, وقد اقترن بمران وثقافة عالية بالشعر وخصائصه وفنونه ,وبذلك جاءت إشاراتهم النقدية سليمة ,فلم يحدثنا التاريخ الأدبي عن خطأ هذه الإشارات أو أن النقد في العصور اللاحقة قد اكتشف بطلانها أبدا,لأنها إشارات وأراء نقدية اعتمدت الذوق المدرب والذي يمثل ((تلك الموهبة الإنسانية التي أنضجتها رواسب الأجيال السابقة... ,والتي امتزجت جميعا فكونت هذا الشيء المسمى بحاسة التمييز أو التذوق الأدبي))[§§§§]وان هذا الامتزاج بين ما تقدمه الدربة من مهارة وبين ما تقدمه الفطرة من مقدرة إحساس وفطنة وحذق ,يستطيع الناقد بها أن يميز بين الغث والسمين مكن النصوص الأدبية ,وبذلك يصبح ((الذوق وسيلة مشروعة من وسائل المعرفة))[*****]التي مثلت نموذجا هاما وطريقة صائبة من طرائق النقد الأدبي الذي عرفه النقد القديم وكذلك للنقد الحديث أن يستثمره في الوصول إلى الأحكام النقدية السليمة إذا ما أحسن التعامل معه بحيث نستطيع أن نخلق ناقد ذا ذوق سليم مهذب ومسلح بكل تقنيات التحليل النصي الحديثة ,فنكون بذلك قد صنعنا ناقدا قاد\را على إبانة مواطن الجمال في النص الأدبي وعلى توجيه الشعراء والأدباء إلى الطريق السليم في إنتاج نصوصهم الأدبية, وتجنيبهم الخطأ والزيغ والانحراف ,وهي وظيفة طالما نهض النقد بحمل أعبائها .

اثر الذوق توجيه في الحكم النقدي

1-أثر الذوق في توجيه الحكم النقدي عند الشعراء:

إن أول ناقد للشعر هم الشعراء أنفسهم فقد امتلكوا مقدرة فنية هذبت وتدربت فكانوا يصدرون الأحكام النقدية على وفق ما ترسخ في نفوسهم من الشعر وغالبا ما يكون هذا الحكم غير معل ,أي أنهم

---

‡‡‡‡ - ابن خلدون, المقدمة:624
§§§§ - العشماوي ,محمد زكي ,قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث-:423
***** - منذور , محمد , في الميزان :126

عندما يصدرون الحكم النقدي على بيت من الشعر أو على شاعر منهم لا يعللون حكمهم لا المتلقي على دراية بالأسباب التي قادت إلى إصدار هذه الأحكام ولا يحتاج إلى توضيح ما واضح أصلا لديه, وهذا النقد هو نقد ذوقي فقد كانت ((ملكة النقد عند الجاهليين مبنية على الذوق الفطري ,لا الفكر التحليلي ,فهو يعد نقد تذوقي ,غير مسبب يقف عند الجزئيات))[†††††] مثل وقوفه عند الألفاظ أو الصياغة ,وذلك عندما يعيب شاعر ما على شاعر آخر استعماله لألفاظ في غير محلها ,كما في حادثة الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد مع المسيب بن علس عندما سمعه يقول:

وقد أتناسى الهم عندَ احتضارهِ بناجٍ عليهِ الصيعرية مكدمِ

فقال طرفة "استنوق الجمل"فقد استعمل لفظة "الصيعرية " وهي لفظة خاصة بالناقة وليس الجمل,لأنها((سمة حمراء تعلق في عنق الناقة خاصة))[‡‡‡‡‡]فالحكم هنا استند إلى الاستعمال للألفاظ وليس إلى شئ آخر ,وهو يظل حكما جزئيا .لكنه لا يحتاج إلى تعليل لان الثقافة التي يعيش فيها الشاعرين قادرة على التمييز بين الاستعمال الصائب وغيره .

وقد يأخذ الشعراء النقاد على شاعر مبالغته في الوصف أوالمديح ومن شواهد ذلك ما ((أخذه العرب على المهلهل بن ربيعة انه كان يغلي في القول ,ويدعي فيه بأكثر من فعله))[§§§§§] عندما قال :

فلولا الريحُ أسمعَ منْ بحجرِ صليلُ البيضِ تقرعُ بالذكورِ

ويبدو أن هذا النقد الذي عرفه العرب في الجاهلية كان نقدا يهتم بالألفاظ والصياغة والمعاني ,وهو ينظر فيها من حيث صحتها وملاءمتها للسليقة العربية وللبيئة الشعرية التي لها محدداتها وان لم تدون ,إنما هي فهم مشترك صقلته الحياة والممارسة والدربة والسماع فصارت سليقة ,فمن خالفها ظهر عيبه وأشار إليه الشعراء الآخرون ودلوا على الخطأ الذي وقع فيه ,فالشعر عند نقدته من الجاهليين صياغة وقدرة ,كان نظما محكما أو غير محكم ,ومعنى مقبول فمعنى المتلمس فاسد لأنه اسند صفة لغير ما تسند إليه, ومعاني المهلهل التي غالى فيها فاسدة ,لأنها فوق المعقول))[******] والشواهد كثيرة على هذه الأحكام الجزئية الذوقية التي كانت تصوب الخطأ وتدعو إلى أن يكون الشعر ذا معنى وصياغة مقبولة.

2-أثر الذوق في أحكام الرواة واللغويين:

---

††††† - عتيق , د.عبد العزيز ,تاريخ النقد الأدبي عند العرب –دار النهضة بيروت :21

‡‡‡‡‡ - المصدر نفسه:21

§§§§§ - ابراهيم , طه أحمد, تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع , دار الحكمة –لبنان :14

****** - المصدر نفسه :16

شهد العصر الأموي العودة إلى الشعر الجاهلي وتلمس جماليته وصوره وأفكاره وقيمه التي نأى عنها الإسلام وقدم نموذجا مغايرا لكثير من تلك القيم التي سعى الأمويون إلى تأصيلها في نفوس العرب في زمانهم ودافعهم إلى ذلك الحفاظ على السلطة ,ونشر القيم الجاهلية التي لديهم منها الكثير ,كل ذلك أدى إلى نشاط حركة الرواة الذين اهتموا بالشعر العربي الجاهلي ,وان اغلب هؤلاء الرواة كانوا من اللغويين الذين يبحثون عن الصياغة والمفردة العربية الأصيلة والقيم الجاهلية وهذا مما أدى إلى أن ينظروا إلى الشعر الجاهلي بشيء من القداسة والاحترام لكل ما فيه ,من قيم وصور وصياغات ,وكل هذا جعلهم عندما يقدمون على نقد الشعر كانوا يشرون إلى هذه الجوانب وكلها جوانب لغوية ,فالنقد عند الرواة هو نقد لغوي أي أن ذوقهم ذوق لغوي صرف لذلك اثر هذا الذوق على الحكام التي يصدرونها وصبغها بالصبغة اللغوية, ومن شواهد ذلك ما نجده عند أبو عمرو بن العلاء (154ه)وهو راوية وعالم لغة ,فقد ذكر المرزباني(384ه) في كتابه (الموشح)أمثلة كثيرة منها قوله((لقد ذهب أبو عمرو بن العلاء إلى القول: إن النابغة قد اخطأ في قوله:

ومقذوفةٍ بدخيس النحضِ بازلها له صريفٌ صريف القعو بالمسدِ [††††††]

حين قال :ما اضر عليه في ناقته ما وصف ,فقلت له (القول للاصمعي)وكيف ؟قال:لان صريف الفحول من النشاط وصريف الإناث من الإعياء والضجر (كذا تكلمت العرب) فراني بسكوتي مستزيدا فقال :ألم تسمع قول ربيعة:

كنار البضيع جمالية إذا ما بعثن تراها كتوما[‡‡‡‡‡‡]

زمن خلال هذا المثال نستدل على أن النقد الأدبي قائم (على ما تكلمت به العرب) وهو قائم على النظر في صواب الألفاظ وهذا ما يمثل نقد ذوقي لغوي ,أي أن المعيار اللغوي هو الأساس في القياس على الشعر, وهذا الاهتمام بالألفاظ اللغوية وعدها معيارا للشعر نجده عند اغلب الرواة واللغويين فقد كانت الألفاظ باستطاعتها أن ترفع من شأن القصيدة أو تسقطها فقد اسقط اللغوي يونس بن حبيب قصيدة بسب لفظة واحدة فيها رآها غير مناسبة وهي لفظة (الطحال)حينما قدم قصيدة لمروان بن أبي حفصة على الأعشى , عندما قال مروان في قصيدة مطلعها:

طرقتك زائرة فحي خيالها

قال يونس لمروان : يا هذا اذهب فاظهر هذا الشعر, فأنت والله أشعر من الأعشى ,يريد في قوله:

[††††††] -الموشح –للمرزباني:51
[‡‡‡‡‡‡] - المصدر نفسه :52

فَرَميتُ غفلةً عينهُ عن شاتهِ فأصبتُ حبةَ قلبَها فطحالَها

والطحال لا يدخل في شيء إلا تفسده وأنت لم تقل ذلك))[§§§§§§] وهذا دليل على النقد اللغوي الذي يهتم بالمفردة ومحلها من البناء الغوي للقصيدة ,حتى صارت هذه اللفظة قادرة على جعل القصيدة صالحة مقبولة أو غير مرغوب فيها لدى اللغويين ,وقد علق المرزباني على قول حبيب بن يونس بقوله((وقد عابه قوم بذلك لأنهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردد كثيرا في الشعر عند ذكر الهوى والمحبة والشوق وما يجده المغرم في هذه الأعضاء من الحرارة والكرب ولم يجدوا الطحال استعمل في هذه الحال إذ لا موضع له فيها ,ولا هو ممن يكتسب حرارة وحركة في حزن ولا عشق ولا بردا ولا سكونا في فرح أو ظفر فاستهجنوا ذكره))[*******].

ولقد كان من نتائج هذا النقد اللغوي الذي يمثل ذوق الرواة واللغويين والإخباريين الذين كان لهم مكان لا مميز في الساحة الثقافية العربية في العصر الأموي لأنهم بعملهم هذا يسايرون ما يريده الحكم الأموي من نشر قيم الجاهلية والعودة بالناس إلى سالف عصرهم وتمجيد أيامهم وعاداتهم التي عابها الإسلام ,وقد كان من اثر هذا النقد الذوقي اللغوي الذي يحرص على اللفظ المفرد ,إذ دارت المفاضلة في الشعر والشعراء على البيت الواحد فقالوا هذا امدح بيت وذاك اغزل بيت وهكذا ,وهذا يعني أن الحكم الذوقي اللغوي قاد إلى هذه الظاهرة التي نظرت إلى الشعر نظرة جزئية فاهتمت بالمفردة على حساب القصيدة وصورها وباءها وما تقدمه من دلالات أخر, فالنقد في هذا العصر الذي اهتم فيه الناس بالأخبار والرواة بالشعر الجاهلي كان يمثل نقدا صافيا ذوقيا منسجم مع الحياة الاجتماعية التي نحت إلى هذا المنحى في العودة إلى التراث الجاهلي واستلهام معانيه والسير على خطاه.

ولقد نقد اللغويون الشعر من جهة أوزانه وقوافيه, ومن النقاد اللغويين عمرو بن العلاء الذي كان يتعقب الإقواء عند الشعراء والذي عرفه بأنه اختلاف الإعراب في القوافي ومن أمثلة ذلك قوله((فحلان من الشعراء كان يقويان :النابغة وبشر بن أبي خازم ,فإما النابغة فقد دخل يثرب فغني بشعره ففطن ,ولم يعد إلى الإقواء ,اما بشر فقال له سواده أخوه: انك تقوي فقال وما الإقواء فانشده بيته وآخر البيت "نسيت حذام "فرفع ثم قال:إلى البلد الشامي فخفض ففطن بشر فلم يعد))[†††††††] وإلى هذه الظاهرة أشار الدكتور داوود سلوم فقال((والكلام في الإقواء عرف قديما, فقد نسبت معرفته إلى أهل المدينة,

---

§§§§§§ - المصدر نفسه :74
******* - الموشح :76
††††††† - الموشح :81

وكانوا أهل فن وغناء ولعلهم أدركوا ذلك فعلا))‡‡‡‡‡‡ وان الإقواء لم يكن غير معرف بل تنبه إليه ابن سلام فقال((وهو في شعر الأعراب كثير)) §§§§§§§ يقصد الإقواء

وكانت أحكام اللغويين قد قادتهم إلى تفضيل شاعر على آخر((فكان المفضل الضبي يقدم الفرزدق على جرير,وأبو عمرو بنم العلاء يقدم الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق, وكان علماء الكوفة مثلا يقدمون امرأ ألقيس.وأهل الحجاز يقدمون النابغة وزهير وهكذا))******** وله11 التقديم أسباب جلها لغوية تتعلق بالغريب والألفاظ ,وقد فصل السيوطي فيها في الجزء الثاني من كتابه المزهر في علوم اللغة.

3-اثر الذوق في النقد عند الأدباء:

يُعد كتاب (طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحي (231) هجري أول أثر نقدي وصل إلينا، وقد تحدث فيه عن الذوق الأدبي ,حيث يرى أن هناك شروط يجب أن تجتمع في الناقد للشعر لان الشعر عنده يقتضي ((ثقافة يعرفها أهل العلم كسائر العلوم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الإذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما تثقفه اللسان)) ††††††††† فالذوق الأدبي عنده ملكة متدربة ممارسة لعملها فهو لا يعد الذوق موهبة فقط بل لا بد من دربة وهي تختلف من شخص لأخر تبعا للفطرة التي جاء عليها الإنسان لان الذوق ((شيء يعرفه العلماء عند المعاينة والاستماع له بلا صفة ينتهي إليها ولا علم يوقف عليه))‡‡‡‡‡‡‡‡ وهذه الصفة أو الميزة التي ينفرد بها الناقد لابد لها من دربة ومران وثقافة ؛ لذلك وجدنا آراءه النقدية في كتابه (طبقات فحول الشعراء) قد جاءت معللة وقد كان في تقسيمه لطبقاته يتبع منهجا علميا ,وأسسا وضعها نصب عينيه عندما فاضل بين الشعراء ,وهو في عمله هذا يعد الرائد في وضع أسس منهجية في النقد الأدبي القديم ,فالذوق عند ابن سلام واحد من المعايير التي يقوم عليها النقد ,والذوق لديه ذوق مدرب ممتلك لأدوات النقد الفنية وثقافة بعلم الشعر وقوانينه ومعرفة بالأحوال التي أثرت في الشعراء .

وفي ضوء المعرفة بأحوال الشعراء وبيئاتهم أطلق أحكامه النقدية وعلل قسما منها كالذي ذكره في شعراء الطائف والمدينة حين قال((وبالطائف شعر وليس بالكثير, وإنما كان يكثر الشعر في الحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم والذي قلل شعر قريش أنهم لم

---

‡‡‡‡‡‡ - سلوم , داوود ,تاريخ النقد العربي :122
§§§§§§§ طبقات فحول الشعراء –محمد بن سلام الجمحي- محمد محمود شاكر – مطبعة المدني – القاهرة :71
******** - المزهر –للسيوطي –مطبعة محمد علي صبيح-ميدان الأزهر – مصر :299/2
†††††††† - طبقات فحول الشعراء – ابن سلام :7/1
‡‡‡‡‡‡‡‡ - المصدر السابق:6/1

يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف))[§§§§§§§§] وهذا يشير إلى أن ابن سلام قد ارجع كثرة الشعر إلى الحروب وجعلها سببا في قوته وانتشاره, ولما كان الذوق مختلف فان شهرة الشعراء كان يتحكم بها ذوق العامة والخاصة ,فقد يشتهر شاعر عند العامة ولا يجد لنفسه تلك المكانة عند الخاصة وهذا ما ذكره ابن سلام فالفرزدق (اشعر عامة أي عند عامة العلماء وجرير اشعر خاصة))[*********] وابن سلام في أحكامه الذوقية لا يخرج عن إجماع العرب بل نراه يذكر أقوال من سبقوه من النقاد واللغويين على الرغم من انه استطاع أن يقسم الشعراء إلى طبقات على وفق ضوابط ,لكنه كثيرا ما يفاضل بين شاعر وآخر استنادا إلى قول لناقد لغوي سبقه من النقاد العرب .

ومن النقاد الأدباء الذين نظروا في موضوعة الذوق, الجاحظ(255هـ)فقد كانت آراءه تدل على عقلية تنظر إلى الذوق الأدبي نظرة خالية من التقييد الزماني والمكاني فليس عند الجاحظ قدسية لقديم لقدمه إنما المزية عنده لإجادة المعاني التي أحسن اخراجها بألفاظ مناسبة لها, فهو قد يفضل شعر لشاعر مولد على شاعر قديم ,فعندما يستحسن الصورة الشعرية والمعنى فانه يقدمه على غيره من الشعراء وان جاء متأخرا من حيث الزمن ,ولكن الآراء التي يذكر الجاحظ واستحسانه لشعر على غيره لا يعللها ولا يقدم دليلا تحليلا يوضح فيه لماذا حظيت عنده بالمقبولية من سواها ,فالحكم النقدي عند الجاحظ حكم ذوقي متحرر ,ولكنه غير معلل كمن سبقه من النقاد, وقد عاب الجاحظ آراء اللغويين في النقد فقال((فلم أرَ غاية النحويين الى كل شعر فيه إعراب ولم أرَ غاية رواة الأشعار الأكل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج, ولم أر غاية رواة الأخبار الأكل شعر فيه الشاهد والمثل))[†††††††††] وواضح من هذا انه ينظر نظرة أدبية بعيدة عن آراء النحاة واللغويين والإخباريين.

ومن النقاد الذين قدموا آراء جديدة في الشعر ابن قتيبة(ت276هـ) فقد كان رجلا فقيها آثر هذا التوجه الفكري على ذوقه النقدي فجاءت أراء منسجمة مع توجهه لذلك صرنا نرى القواعد والأسس التي وضعها للشعر إذ قسم الشعر على أربعة اضرب تناول فيها اللفظ والمعنى وقد كان يريد باللفظ ((التأليف والنظم ,ويريد الصياغة كلها بما تضمه من لفظ ووزن وروي, ويريد بالمعنى التي يبين عنها البيت أو الأبيات))[‡‡‡‡‡‡‡‡‡] وهو يعتقد أن الشعراء صنفان مصنوع ومطبوع وهم يتفاوتون في ملكة الشعر

§§§§§§§§ -طبقات فحول الشعراء :259/1
********* - المصدر نفسه:300/1
††††††††† -البيان والتبيين –الجاحظ :24/4
‡‡‡‡‡‡‡‡‡ -تاريخ النقد الأدبي عند العرب :124

تفاوتا كبيرا ولا ميزة لمتقدم عنده على متأخر هذه اغلب آرائه النقدية §§§§§§§§§,التي بدا الذوق ينحكم بها وهو ذوق فقيه يهتم بالمعنى أكثر من اهتمامه بالجانب الفني أو الصياغة المتقنة.

ومن النقاد الذين اهتموا بالذوق وجعلوا له حيزا في كتاباتهم النقدية ابن طبا طبا العلوي (322ه)في كتابه عيار الشعر الذي اهتم بالذوق وافرد له أسس موضوعية يحددها فيقول((فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما مصفى من الكدر مقوما من أو الخطأ أواللحن سالما من جور التأليف موزونا بميزان الصواب لفظا ومعنى وتركيبا اتسعت طرقه ولطفت موالجه فقبله الفهم وارتاح له وانس به ,وإذا ورد عليه على ضد هذه الصفة كان باطلا محالا مجهولا انسدت طرقه ونفاه واستوحش عند حسه به وصدئ له وتأذى به كتأذي سائر الحواس بما يخالفها))**********

فابن طباطبا قد ارتقى بالذوق حتى جعله حاسة مماثلة للحواس الخمس، وإذا كان أثر الحواس من عين وأذن وأنف لا ينكر، فطبيعي أن تكون حاسة الذوق واضحة ملموسة لا تحتاج لديه إلى دليل، وقد أسماها (الفهم الثاقب ولن يكون الفهم فهماً بالعقل وحده، ولكن أثر الفهم من الارتياح والبهجة والتقبل يعود إلى الوجدان، وبذلك يصبح العقل والوجدان معاً ركيزتين دقيقتين للذوق الذي يحكم به على النصوص الأدبية،وان هذه الحالة من الفهم والتلذذ بالشعر عنده تعد وسيلة أخلاقية لا الحالة اللذيذة التي تقع للمتلقي تتجاوز فائدتها حد الاستمتاع بالجمال اذ تنفد إلى الفهم))†††††††††† فقد أصبح الذوق هنا يمتلك حاسة خاصة به تساعد على فهم النص الأدبي ,وبهذا يكون ابن طباطبا قد قدم نقلة مهمة في النظر إلى الذوق الأدبي الذي ظل مقاسا يقاس به النص الشعري في العصور التي سبقته والذي تأثر بما كان عليه النقاد من ثقافات واتجاهات بدت واضحة في أحكامهم النقدية التي ساقوها في تقييم الشعر العربي التي مثلت اتجاها واحدا لكل ناقد حاول دراسة النص الشعري العربي في العصور الإسلامية حتى ابن طباطبا.

وهذه الراء التي تطرقنا إليها هي جزء قليل من مجموعة آراء نقدية لنقاد سبقوه وكذلك استمر النقد الأدبي العربي يتطور وتظهر فيه آراء نقدية قيمة كالآراء التي جاء بها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡ فهي على غاية من الإتقان والجدة والعلمية التي استندت إلى التحليل النصي وليس إلى الإعجاب غير المعلل.

---

§§§§§§§§§ - ينظر :الشعر والشعراء :12/1
********** - عيار الشعر –ابن طباطبا العلوي:29
†††††††††† -تاريخ النقد الأدبي عند العرب – د.احسان عباس:140
‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡ - ينظر : عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

الذوق عند ابن رشيق القيرو اني –كتاب (العمدة في محاسن الشعرونقده) أنموذجاً

قبل التعريف بكتاب العمدة والتطرق إلى الآراء النقدية التي يعنى بها هذا البحث ,وجب التعرف أولاً على ابن رشيق القيرواني فهو : أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني ,((من أهل مدينة من مدن أفريقية تعرف بالمحمّدية وأبوه رشيق مملوك رومي لرجل من أهل المحمّدية من الأزد ,ولد الحسن بن رشيق بالمحمدية في سنة سبعين وثلاثمائة ,ونشأ بها ,وعلمه أبوه صنعته ,وهي الصياغة ,وقرأ الشعر بالمحمدية, وقال الشعر قبل أن يبلغ الحُلم ...رحل إلى القيروان وعمره ستة عشر سنة ,وأمتدح به ,وأشتهر بجودة الخاطر وصدق القريحة, وحسن المحاضرة, وامتدح صاحب القيروان في سنة سبع عشرة وأربعمائة بقصيدة ...ولم يزل ابن رشيق على ما هو عليه من إقامة سوق الأدب والتنبه على فضل العرب إلى أن هجم العرب على القيروان[§§§§§§§§§], ...وعند ذلك فر عنها الى ساحل البحر المغربي ,ولم يمكنه المقام هناك ,فعدّى البحر إلى جزيرة صقلية ونزل بمأزر ,أحدى مدنها على أميرها ...ولم يزل عنده إلى أن مات بمأزر سنة خمسين وأربعمائة رحمه الله تعالى))[**********],فيما ذكر ابن خلكان (681هـ) إنه ((توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة بأزر))[††††††††††],ولم تقتصر جهود ابن رشيق القيرواني في التأليف على كتابه الشهير (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)بل كانت من ((تصانيفه "قراضة الذهب " وهو لطيف الجرم كبير الفائدة ,وله كتاب "الشذوذ " في اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها وكتاب "طراز الأدب " ...وغيرها))[‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡]

غير أن كتاب" العمدة في محاسن السعر وآدابه ونقده " الذي طبع في جزأين قد حوي كثيرا من أراءه النقدية و فيه تناول قضايا كثيرة من قضايا الشعر العربي في موضوعاته وأسسه وبلاغته ,وقد كان القيرواني واضحا في مقدمة كتابه هذا في الكشف عن منهجيته في الدراسة فقال ((فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه ليكون" العمدة في محاسن الشعر وآدابه "إن شاء الله تعالى، وعولت في أكثره على قريحة نفسي، ونتيجة خاطري، خوف التكرار، ورجاء الانتصار إلا ما تعلق بالخبر، وضبطته

---

§§§§§§§§§ - لما انحرف المعز ابن باديس عن المذهب الشيعي رماه المستنصر بالله الفاطمي ,بعرب هلال :وهم زغبنة ,ورباح ,والأثبج ,فدخلوا أفريقية ,وأخرجوا ابن باديس من القيروان وذلك سنة 447هـ ,ينظر : مقدمة ابن خلدون :159/6

********** - أنباء الرواة على أنباه النحاة ,تأليف الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة 624هـ, تحقيق ,محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية ,صيدا , لبنان, ط1,2004م : 338/1

†††††††††† -وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ,لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608-681هـ) دار احياء التراث العربي , بيروت ,ط1 ,1997م :233/1

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡ - وفيات الأعيان :1 /233

الرواية، فإنه لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه ولا معناه، ليؤتى بالأمر على وجهه، فكل ما لم أسند إلى رجل معروف باسمه، ولا أحلت فيه على كتاب بعينه، فهو من ذلك، إلا أن يكون متداولاً بين العلماء لا يختص به واحداً منهم دون الآخر، وربما نحلته أحد العرب، وبعض أهل الأدب، تستراً بينهم، ووقوعاً دونهم، بعد أن قرنت كل شكل بشكله، ورددت كل فرع إلى أصله، وبينت للناشئ المبتدئ وجه الصواب فيه، وكشفت عنه وجه الارتياب به، حتى أعرف باطله من حقه، وأميز كذبه من صدقه))§§§§§§§§§§ ولقد درس في كتابه هذا الشعر العربي ,من حيث صياغته، ومعانيه، وطرقه في التعبير، وأغراضه، ولقد ذكر كثيرا من آراء النقاد القدماء الذين سبقوه في هذا المضمار فلم يبخس أحدا منهم , فقد كان أمينا في نقل أفكارهم ,منتفعا بآرائهم النقدية ,وقد يعطي رأيه في كثير من الموضوعات التي درسها وفي كتابه هذا تبرز شخصيته النقدية والأدبية ,ويبدو فيها ذوقه الفني الذي حكم آراءه النقدية ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال:

1- قضية الطبع والصنعة :

وهي قضية شغلت مساحة واسعة من النقد العربي القديم وقد أكثر النقاد فيها القول وانقسموا على قسمين: الأول :عد الطبع هو الأساس وما إلى تفضيل الشاعر المطبوع وعاب كل من تصنع في شعره ,إذ الشعر لديهم سجية وقريحة وان الشاعر الذي يمضي أوقاتاً طويلة في إنضاج القصيدة شاعر غير مكتمل الموهبة ,لان الموهبة والشاعرية تتحقق بالبديهة والارتجال ,وقد فضلوا الشعراء الذين اتسموا بهذه السمات,ولقد كان ابن رشيق القيرواني من هذا القسم من النقاد ودليل ذلك ما نجده في قوله مادحا المطبوعين من الشعراء إذ يرى أن الطبع هو الأصح ,فقد ذكر ((إنما فضل امرؤ ألقيس –وهو من هو – لما صنع بطبعه وعلى سجيته من غير طمع ولا جزع))********** وقد عضد رأيه هذا في تفضيله للشاعر المطبوع وخاصة امرؤ ألقيس برأي للإمام علي (عليه السلام)يقول فيه ((حكي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ,ونصب لهم راية فجروا معاً ,علمنا من السابق منهم ,وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة ,فقيل ,ومن هو ؟ فقال : الكندي ,قيل :ولِمَ؟قال:لأني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة))††††††††††††وهذا يكشف عن أن ابن رشيق القيرواني يميل بذوقه الفني الى الشعر المطبوع ,وهو بذلك يساير بعض المتقدمين الذين فضلوا الشعر المطبوع على المصنوع

§§§§§§§§§§ - مقدمة كتاب العمدة :3
********** - العمدة : 30/1
†††††††††††† - العمدة :30

والقسم الثاني من النقاد : فضل الشعراء الذين يعتنون بقصائدهم وفينقحونها ويستغرقون في ذلك جهدا ووقتا وكمن أبرزهم في شعرنا القديم شعراء الحوليات وعلى رأسهم زهير بن أبي سلمى ,وان اهتمام هذا الصنف من الشعراء بتنقيح شعرهم جعلهم في نظر القسم الأول من النقاد ((عبيدا للشعر)وقد شاع هذا الوصف فيهم ,لكن ابن رشيق قد جاء في القرن الخامس للهجرة وقد تغيرت كثير من أراء النقاد وظهر شعر سمي بالمحدث له طوابعه الخاصة ومحبيه ونقاده ,لذلك نراه لا يغفل هذا التحول لكن ذلك لا يمنع ذوقه من التأثير في حكمه النقدي ودليل ذلك ما نجده في حديثه عن الشعر المحدث وأنه في نظره تابع إلى ما سبقه إن صح وحسن وفي ذلك يقول : ((ولم يتقدم امرؤ ألقيس والنابغة والأعشى ,إلا بحلاوة الكلام وطلاوته مع البعد من السخف والركاكة ,على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم ,إذ هو طبع من طباعهم ,والمولد المحدث –على هذا- إذا صح كان لصاحبه الفضل البين لحسن الإتباع ومعرفة الصواب ,مع أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة))‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡فابن رشيق القيرواني مع اعترافه ببعض الفضل للشعر المحدث الذي فيه رقة وحس ديباجة ,لكنه ظل مخلصا لطبعه وذوقه البدوي ,وعلى الرغم ذلك فأنه لا ينكر ميل الأذواق في عصره إلى الشعر المولد الذي لا تكلف فيه وان بدا مصنوعا من غير تكلف إذ يقول ((ومن الشعر مطبوع ومصنوع ,فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا وعليه المدار ,والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف إشعار المولدين ,لكن رفع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل ,لكن بطباع القوم عفوا, فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل))§§§§§§§§§§§§ ويكشف هذا عن واقع ثقافي يبدو انه قد مارس عليه نوعا من الضغوط التي لا تستطع أن تقتلع طبعه وتغير شيئا من ذوقه البدوي.

2- قضية استقلالية البيت الشعري :

وهذه واحدة من القضايا النقدية التي شغلت النقاد في قديمهم وحديثهم فسم منهم يرى أن القصيدة العربية هي مجموعة من الأبيات الشعرية المستقلة في بنائها وفي معناها ,ولا رابط لها بغيرها إلا من خلال الواقعة أو الحدث الذي يستفز الشاعر فيدفعه الى تصويره والتعبير عن أفكاره نحوه ,وقسم آخر يرى أن القصيدة العربية كل متكامل وان البيت الشعري وان امتلك شيئا من المعنى فانه يظل عاجزا عن إيصال الفكرة إلا من خلال ترابطه من أجزاء القصيدة الأخر ,ولعل أوضح من كتب في هذا الموضوع وتحدث عن هذه الظاهرة هو كتاب ((وحدة القصيدة في الشعر العربي) لحياة جاسم وفيه سرد واسع للآراء في هذه القضية **********,أما ابن رشيق القيرواني فيبدو لنا رأيه من خلال هذا النص الذي

---

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡ - العمدة :83/1

§§§§§§§§§§§ - العمدة 116/1

********** - ينظ : وحدة القصيدة في الشعر العربي ,حياة جاسم ,دار الحرية للطباعة ,بغداد ,1972م : 59 - 93

يكشف عن تفضيله لاستقلالية البيت الشعري إذ يقول ((ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيا بعضه على بعض ,وأنا استحسن أن يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده ,وما سوى ذلك فهو عندي تقصير إلا في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها, فان بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد))[1] ولا غبار على رايه هنا فهو يميل إلى ذوق تمرس في معرفة الشعر العربي القديم وقد أعجبه أن يكون البيت منفردا قائما بذاته فهو عنده غاية في الإجادة وهو بذلك يكشف عن ذوق بدوي أيضا, وفي كتاب العمدة اراء كثيرة له تكشف ذوقه في إصدار الأحكام النقدية في كثير من القضايا النقدية الأخر مثل البناء الفني للقصيدة وغيرها ,ويكتفي الباحث بهذا القدر من آراءه النقدية فهي دالة على تأثر حكمه النقدي بذوقه وهذا ما كان صلب البحث وغايته أن يكشف عن أن الأحكام النقدية لا تتخلص من ذوق الناقد.

الخاتمة :

لقد كان موضوع البحث اثر الذوق في توجيه الحكم النقدي موضوعا ممتعا ومهما لأنه:

1- كشف لي عن جوانب كثيرة كانت خافية وقد استطعت من الاطلاع على الآراء النقدية التي قيلت في هذا الموضوع وتمكنت من معرفة اثر الذوق في أحكام الشعراء الجاهليين الذين كانوا يقدمونها في محافلهم وفي أسواقهم والتي فاضلوا فيها شاعر على آخر ,فقد تحكم الذوق البدوي في أرائه إذ جعلوا همهم النظر في الألفاظ وفي مطابقتها لسنن العرب في لغتهم وعابوا كل خروج عما اعتادت عليه العرب من كلام ,وعند الرواة وجدت ذلك الاهتمام بالغريب والألفاظ والمعاني القريبة من القيم العربية الأصلية فالابتعاد عنها يمثل مثلبة على الشاعر والشاعر المجيد هو من سار على خطا من سبقه من الشعراء الجاهليين.

2-أبان أما أثر الذوق عند النحويين والبلاغين فيبدو واضحا من أحكامهم التي كانت تفاضل بين الشعراء على أساس الالتزام بالألفاظ العربية ومدى ابتعادهم عن الغريب والحوشي من الكلام ,فهم إذا ما نظروا في الشعر كان ذوقهم اللغوي هو المسير لأحكامهم النقدية,

3-اتضح أنه قد تطور النظر في الشعر العربي تبعا لتطور الحياة العربية وتوسعها ودخول الثقافات الآخر التي أفاد منها النقاد في التقسيم والتبويب وفي إقامة مجموعة من الأسس الواضحة التي يعتمد عليها الناقد في إصدار حكمه النقدي وهذا ما لمسناه عند ابن سلام ومن جاء بعده من النقاد والأدباء ,فقد بدت الأحكام النقدية تجد لها تعليلا ولا تصدر نتيجة إعجاب ,بل صار الناقد قد امتلك ذوقا فنيا

[1] - ابن رشيق القيرواني , العمدة,: 1 /227

مدربا قادرا على التمييز بين ما يسمعه من شعر على وفق آليات وقواعد بدت تترسخ من خلال مجموعة من النقاد الذين امتازوا بالمقدرة الفنية مضافا إليها الذوق المرهف المدرب.

4-ولقد أوضح البحث في مبحثه الثالث أثر الذوق في أحكام ابن رشيق القيرواني في كتابه " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) الذي حوى كثيرا من أرائه النقدية التي ظهر فيها تأثير ذوقه البدوي وميله الى الشعر القديم واهتمامه بتعقب الآراء النقدية القديمة ومسايرتها وامتداحها والثناء على الشعر المطبوع مثلا مجاراة لذوقه وإعجابا بالآراء النقدية لمن سبقه ,ولقد أوضحنا هذا التأثير في قضيتين من قضايا النقد العربي القديم وهي قضيتا :الطبع والصنعة والأخرى: قضية وحدة البيت الشعري واستدلينا على تأثير ذوقه من خلال نصوصه الكاشفة عن هذا الذوق العربي الأصيل في حبه للشعر العربي القديم وميله التام إلى أن يكون للبيت الشعري استقلالية معنوية تامة

المراجع:

1- ابراهيم . طه أحمد ,تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري-دار الحكمة – بيروت.

2- ابن خلدون , مقدمة ابن خلدون –دار إحياء التراث العربي –بيروت.

3- ابن خلكان ,أبو العباس شمس الدين (608-681 ه) , وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , دار احياء التراث العربي , بيروت ,ط1 ,1997م.

4- الأنصاري , جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،لسان العرب , مطبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة.

5- الجاحظ , بحر بن عثمان(ت255ه), البيان والتبيين, تحقيق وشرح :عبد السلام هارون، دار الجيل، ط2، بيروت (د.ت).

6- -جاسم , حياة , وحدة القصيدة في الشعر العربي ,دار الحرية للطباعة ,بغداد ,1972م.

7- الجراوي , أبو العباس احمد بن عبد السلام ,تحقيق-محمد رضوان الداية, دار الفكر المعاصر , بيروت

8- -6الجرجاني , عبد القاهر, دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة, 1989م.

9- الجمحي , ابن سلام , طبقات فحول الشعراء,تحقيق , محمد محمود شاكر ,مطبعة المدني , القاهرة , 1980م.

10- الدينوري ,ابن قتية , الشعر والشعراء , تحقيق –محمد يوسف نجم و-د.إحسان عباس –دار الثقافة –ط2- 1969م

11- -السيوطي , جلال الدين ,المزهر في علوم اللغة وأنواعها , مطبعة محمد علي صبيح وأولاده-الأزهر –مصر

12-الشايب, أحمد- اصول النقد الأدبي ,مصر –ط7-1964م.

13-عباس , احسان ,تاريخ النقد الأدبي عند العرب , دار الثقافة –بيروت -1978م.

14- عتيق , د. عبد العزيز ,تاريخ النقد الأدبي عند العرب ,دار النهضة العربية – بيروت

15 -العلوي , ابن طباطبا ,عيار الشعر ,تحقيق محمد زغلول سلام –منشأة الإسكندرية – مصر -1980

16 -العشماوي , محمد زكي ,قضايا النقد الأدبي , دار نهضة مصر – 1979م.

17-القفطي, جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف المتوفى سنة 624هـ أنباء الرواة على أنباه النحاة تحقيق ,محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية ,صيدا , لبنان, ط1,2004م

18-عوض , د.ابراهيم , التذوق الأدبي –مكتبة الثقافة – الدوحة – قطر – 2005

19-القيرواني ,أبو علي الحسن بن رشيق , العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده , تحقيق ,د.عبد الحميد هنداوي ,المكتبة العصرية ,بيروت ,2007م

20-المرزباني , محمد بن عمران , الموشح , تحقيق محمد علي البجاوي –دار نهضة مصر – 1973

21- منذور , محمد , في الميزان , دار نهضة مصر –القاهرة –1973